جغرافية بابل واشور (تابع ما قبله)

لجناب الاديب جميل افندي نخلة المدوّر

وبظهران بورسيبا في اوائل الاجيال النصرانية كانت معمورةً بالابنية والهياكل وقد ذكرها استرابون على حالها الاخيرة فقال ان بورسيبا المعروفة الآن باسم بروس بي من المدن المشهورة بنسج الكتان وفي جملة ابنيتها هيكلان فاخران احدهما لابولون والآخر لارطامس اخته . قال ويكثر في نواحيها الخفّاش وهو اكبر من الخفّاش المعروف عندنا وهم يأكلونهُ وبعضهم يدّخرهُ مقدّدًا ومملوحًا الى حين الحاجة انتهى . وعلى مسافة يسيرة من اخربة بورسيبا آثار قديمة العهد جدًّا وتعرف بابرهيم الخليل وفيها على ما قال كثيرون هياكل آلهة وبيلب سمدان ونانا التي ذكر بختنصر انها من بنائهِ وهناك قبة في الموضع الذي يقال انهُ فيهِ طرح نمرودُ ابرهيمَ الخليل في أتون النار . وبقربها تلّة يبلغ ارتفاعها اكثر من ثلاث وثلاثين ذراعًا وطولها نحو ٤٦٠ قدمًا وعلى ما قيل انها نفس الهرم الذي ذكرهُ استرابون وقال انهُ قبر بعلوس وهو غير ثبت . وفي تلك النواحي اخربة كثيرة حفر فيها بعض السائحين فوجدوا تحفًا كثيرة من اوانٍ وآجرّ وغيرها وقالوا ان محيط الآثار فيها يبلغ ميلاً

وبقرب اخربة قصر بختنصر آثار مسافتها مئة متر يظنُّ الباحثون انها الحمامات التي ذكرها اريانوس . ويليها على مقربةٍ منها أخربة يقال لها تلّ تمرلن وهي تبعد مئة قدم عن السرب الذي ذكرناهُ قرب قصر بختنصر وهيئتها اشبه بربوةٍ مضلّعة تضليعًا افقيًّا طولها من الغرب الى الشرق ست مئة وخمسون قدمًا الّا انها ادنى ارتفاعًا من سائر الروابي التي تجاورها وعليها بقايا ابنية من الآجرّ . وقد احتفر فيها بعض السيّاح فوجدوا قبورًا مكدونية في بعضها اكاليل ذهبية حملوها الى قصور التحف في اوروبا . ومن الناس من يظن ان هذه الاخربة هي بقايا الحدائق المعلقة التي مرّ ذكرها الآن ذلك ضعيف . اما اولاً فلانهُ لم يُرَاسِ بختنصر على بقاياها كما هو دابهُ في كل ما بناهُ ان ينقش عليهِ اسمهُ فلو كانت هذه من ابنيتهِ لم يتركها غفلاً مع ما هي عليهِ من العظمة والغرابة حتى كانت تعدّ من جملة عجائب الدنيا . واما ثانيًا فلأن مساحة الحدائق المذكورة كانت ٤٠٠ يرد لكل جهةٍ من جهاتها والاخربة المذكورة طولها ١١٠٠ يرد فبين المساحتين تفاوت بعيد والله اعلم .

وفي جملة ما كشفهُ الباحثون في بابل اثر سورٍ في جانب النهر قالوا انهُ السور الذي بناهُ نبونيدوس ملك بابل وقد ذكرهُ بيروسوس فقال انهُ يمتدُّ من طرف السور الشمالي الذي دخل منهُ قورش مدينة بابل الى منفذ الفرات في الجنوب وعليهِ فتكون مساحة السور مساحة مدينة بابل كلها . والمظنون ان بناءهُ كان لصيانة الجانب الادنى من المدينة حين طغيان الماء . ووجدوا ايضًا آثارًا

يقولون انها من بقايا الجسر الذي ذكرهُ هيرودوطس وديودورس الصقلي وقال قومٌ انها من آثار الاسوار التي كانت لكلٍّ من القصرين على جانبي النهر

اما موقع بابل فقد اجمعت العلماء وارباب البحث على انهُ المكان الذي فيهِ تلك الآخربة العظيمة الممتدَّة الى مدًى شاسع قرب مدينة الحلَّة على مسافة خمسة اميال منها على ضفة الفرات كما مرَّ ذكرهُ ومن هذه الآخربة يُستدَلُّ على ما كانت عليهِ سالفًا من العظمة والاحكام . ومع اتفاقهم على ان هذه البقايا هي بقايا مدينة بابل المشهورة فانما هو حكم استدلال وغلبة ظنّ لا يفيد قاطع اذ لم يجدوا هناك ما يقضي بالجزم ويرفع الاحتمال ولم يجدوا مع ذلك ما يناقض هذا الاستدلال والترجيح فصار قسمًا بمنزلة اليقين . ثم ان معظم هذه الآخربة واقع على ضفة الفرات الشرقية وليس على الضفة الغربية الا جانب صغير . ومن الناس من يقول ان ملوك بابل في إبّان امرها كانوا قد حوَّلوا النهر الى وسط المدينة وزيَّنوا جانبيهِ بالرُصُف المتقنة فكان يقسم المدينة الى شطرين متآزيين كما اسلفنا ذكرهُ . فلما انقضى امر اولئك الملوك وسقطت دولتهم اخذت المدينة في الانحطاط واخطأتها عناية المرمّين ومال النهر مع كرور الايام الى مجراهُ الاصلي شيئًا بعد شيء مستعرضًا الى جهة الغرب حتى عاد الى موضعهِ القديم . ويؤيّد هذا القول اننا نرى بقايا الشطر الشرقي من المدينة أبين آثارًا وأعرف رسمًا حتى ان بقايا الرصيف الذي على ميسرة الفرات لم تزل الى يومنا هذا وعليها اسم آخر ملوك بابل بخلاف الشطر الغربي فان ماء النهر قد جرَف تلك الابنية وترك موضعها قاعًا بُورًا . ومما يزيد هذه المدينة غرابةً انها مع عظم ابنيتها وكثرتها واتساعها كانت تلك الابنية من طين كانوا يخلطونهُ بالحُمَر ويصنعون منهُ قطع الآجرّ والليِن طبخًا بالنار او تجفيفًا في الشمس ويبنونها موضع الحجارة لان الصخر قلما يوجد هناك وبذلك قامت تلك الهياكل العظيمة والاسوار الشامخة والمعاقل الحصينة التي صبرت حتى على مهاجمات الزمان وسطوات الاقدار قرونًا متوالية وبقيت بعد خرابها زمنًا طويلاً بمنزلة مقلع تُنقل منهُ مواد البناء الى ما يجاورها من البلاد حتى ان سلوقية واكتزيفون وبغداد والكوفة والحلَّة وغيرها من المدن بُنِيَت من بقايا بابل فضلاً عمَّا بقي فيها من جبال الانقاض المنتشرة في تلك النواحي وخلالها بقايا رسوم لا يأويها الا البوم والغراب . وقد تحققت فيها نبوة رجال الله ولا سيما اشعيا النائل ويكون من امر بابل التي هي بهاء الملك وزينة فخر الكلدانيين كما كان من تقليب الله لسدوم وعمورة فلا تُعمَر ابدًا ولا يأوي اليها ساكنٌ من بعدُ ولا يخيّم هناك اعرابي ولا يُريض راعٍ سرحهُ لكن يربض هناك وحش الصحراء ويملأ بيوتهم البوم وتسكن هناك رئال النعام وتطفر معز الوحش وتصيح بنات آوى في قصورهم والذئاب في هياكل تَرَفهم (اشعيا ١٣ : ١٩ الى آخره) . ومدينة الحلَّة مبنيَّة على آثار آخربة بابل قبل أُحدِثَت سنة ١٠٩٣ ميلادية

وبانيها صدقة بن منصور. ويستفاد من بعض الكتب انها كانت في اوّل امرها مقام قبيلة من العرب وهي اليوم قرية دنيئة وغالب سكانها قوم صعاليك وهناك محطّ للسافرين من خليج فارس الى بغداد وفي شمالها الشرقي آثار عديدة يظن انها من آثار مدينة القوطيين الذين كانوا يعبدون زحل او المريخ وفي الجهة الجنوبية منها قاعدة صنم كبير يقال انها قاعدة الصنم الذي نصبهُ بختنصر وهو مذكور في سفر دانيال

لذّة الحياة

لجناب سليم افندي صيدح ب . ع

لا شيء احب الى الانسان من لذّة حياته فجميع ما يتمناهُ يقصد فيهِ اللذة حتى اصحت داعيًا الى الاعمال والاشغال وغايةً تتسابق اليها الآمال وكلٌّ يسعى اليها على قدم وساق وذو قوة لهُ على رفضها اذا انت على طرفها كما ان ذا البصر اذا فتح عينيهِ في النور لا يقدر ألاّ يرى الاشياء امامهُ . ولذّة الحياة في الانسان اما جسدية او عقلية فالجسدية نتيجة القوى المنفعلة اي المتاثرة بالطبيعة الخارجية والعقلية نتيجة القوى الفاعلة اي المؤثرة في تلك الطبيعة . اما الاولى فتاتي على طريق الحواس الظاهرة مما يلذّ لها من المذوقات والمرئيات والمسموعات والمشمومات والملموسات ولها عند المخلوقات شان جلّل وبدلٌ على ذلك عدد اعضائنا واختلافها وتحكيم وضعها لنبولها من كل ما يحيط بنا وهي اشهى الى محبي البسط واللهو من غيرها . واما الثانية فتختلف باختلاف القوى العقلية الفاعلة عقليًا وادبيًا وروحيًا حتى اذا ادرك الانسان بها اعمال الله وصفاتهِ وصفات البشر بالنسبة اليهِ تعالى امتلأ من هذه اللذّة وودّ ايصالها الى غيرهِ ايضًا ومقدارها متفاوت في الناس بحسب تفاوت طاقتهم عليها فكل يسع منها على قدر طاقتهِ

ثم ان ايّ هاتين اللذتين افضل بحثٌ طالما سمعت الناس يختلفون فيهِ فمنهم من يفضل الجسدية بدعوى انها اشد ومنهم من يفضل العقلية بكل دعوى من دعاوي هذا المبحث . وعندي ان ما ياتي كافٍ لاظهار حقيقة هذه القضية وهو اولاً ان اللذة الجسدية تدوم ما دام المؤثر يفعل لان قواها المتقدم ذكرها ليست بقادرة على العمل من تلقاء ذاتها فاذا ارتفع المذوق مثلاً بطلت لذة الذوق واما العقلية فتدوم ولو انقطع فعل المؤثر لان قواها كآلة الساعة اذا ابتدأت بالحركة قدرت على تحييها من ذاتها . ثانيًا ان قوى اللذة الجسدية قد تخدر وتضعف لتكرار التاثير الواحد عليها ولذتها تقلّ فمن يكرر اكل الحلواء دفعات متوالية تنفرُ نفسهُ منها ومن لا يسمع الاّ لحنًا واحدًا مطربًا فقلما يطرب منهُ بعد سمعهِ طويلاً ومن يعيش في محلٍّ بهج المنظر بديع الزخرفة